ابن الانسان

حرية الفكر هي التي أسلمت لأميل لودفيج عنان أفكاره فأكب عليها يشدها ويطلقها غير مكترث لما عساه يصادفه في طريقه، أو عابىء بما يصيبه. وحرية الرأى هى التى دفعته ليلقى بثمار تفكيره ونتاج بحثه بين يدى المجتمع ليشهد له أو عليه.

وكان شأن هذه الحرية الشاملة مع الاستاذ صاحب العصور كما كان مع الاستاذ الاديب لودفيج فنقل لنا صوراً من كتابه. ولولا ما أحسسته من ميل سفينة حضرة الناقل الى اتجاه معين لما تأخرت عن ترديد الجملة الشائعة — ناقل الكفر ليس بكافر.

هذه الحرية نفسها هى التى دفعتنى للرد على ما جاء فى صفحات لودفيج عن قلم أستاذنا الفاضل. وسأجتهد فى ردى هذا أن أكون بعيداً عن الاستعانة بالبراهين الدينية. التى يضعها الكاتبان مع الاساطير والقصص الوهمية. اللهم إلا في حالة مغالطة المؤلف فى تفسير آية أو ادعائه بكذبها.

وإذ كتب المؤلف يبرهن عن (عيسى) بأنه أنبغ أبطال الانسانية وسار معه فى رأيه حضرة المفكر الناقل، فان كاتب هذه السطور سيسعى فى رده للبرهنة على أنه لم يكن (عيسى) بل المسيح ابن الله أو الله نفسه. ولو أننى أعد ردى هذا تطفلا على مائدة فئة كانت هى الأجدر بالرد، غير أنها لاهية الآن عن القيام بأوجب واجبات وظيفتها. لا يعنيها إلا الدفاع عن حقوقها. حقوقها المادية طبعاً

لا أدرى من أين أتى لود فيج بوصف بطله هذا. وأنى له بترجمة حياته و بينهما ما يقرب من ألفى عام. وان كان اللادينيون لا يعتقدون بتراجم معاصرى المسيح فكيف يصدقون ترجمة شخص يعاصرهم هم. ومن أين جاء المؤلف بتعليلاته

الغريبة ووصفه البرنامج اليومى لحركات (عيسي) وسكناته واضطرابه وتأملاته . وهو يحاول كما يقول الناقل أن يتغلغل فى روح العصر الذى عاش فيه بطله . ومتى كانت التخيلات الغريبة (المخالفه للواقع) صورة لحقيقة وقعت أو جزء منها . قال المؤلف — « وخرج (عيسي) من النهر بعد أن تطهر من الخطايا التى لم يرتكبها قط » . كذا ! !

قال السيد المسيح أنى لم آت لأنقض الناموس بل لأكمله . فبصفته انساناً وحاملا لخطايا البشر كان عليه أن يعامل بنفس الناموس الذى يعامل به أى انسان آخر وإلا كان معتديا على الناموس ناقضاً له وهو يقول أنه أتى ليكمله . ألم تر كيف يفسر هو ذلك فى رده على يوحنا (متى ٣ : ١٤ ـ ١٦) « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه . ولكن يوحنا منعه قائلا، أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى . فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . . . . »

وإذا لم يكن معنى الجملة الأخيرة هو ذلك فماذا يكون معناها .

وذكر المؤلف أن أحد البشيرين أهمل ذكر أربعة ملوك بين داود ويوسف النجار وذلك ليوفق بين نبوات أنبياء بنى اسرائيل وحقيقة (عيسى) . ولاصحة لاعتراض المؤلف هذا على الاطلاق . ذلك أنه جاء في إنجيل متى الاصحاح الأول أن يوشيا ولد يكنيا . وهو لم يكن أباه مباشرة إذ كان جده (انظر سفر الأيام ٣ : ١٥ ـ ١٦) وانظر الأصل اليونانى فى انجليل متى وترجمته هو : يوشيا ولد يهوياقيم (يواقيم) و يهوياقيم ولد يكنيا . غير أن المترجمين اختصروها بحذف يواقيم ومما يثبت ذلك أنك إذا حسبت أجيال المواليد فى متى وجدت أن الجيل الأول عدده ١٤ وينتهى بداود . والجيل الثانى ١٤ وينتهى بيواقيم . والجيل الثالث ١٤ وينتهى بالمسيح . وقد فض المترجم لذلك فقال من ابراهيم الى داود ١٤ جيلا . ومن داود إلى سبى بابل (ولم يقل إلى يكنيا إذ أنه الى يواقيم الذى لم يسبق ذكره).

١٤ جيلا. ومن سبى بابل الى المسيح ١٤ جيلا ، هذا واحد من الملوك الاربعة المذكورين .

كذلك ورد فى إنجيل متى (١ : ٨) أن يورام ولد عزيا . مع أن عزيا كما جاء في التوراة هو ابن أخزيا بن يواش بن أمصيا . وقد حذف البشير أخزيا ويواش وأمصيا، لأن يورام خلف أخزيا من عائلة آخاب الوثنية (وكانت زوجة آخاب ايزابل) فحذف أسماء هؤلاء الثلاثة كان عقاباً لبيت يورام المذنب الى الجيل الرابع لأن الله تعالى قال أفتقد ذنوب الآباء من الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى . ولو لم يفعل متى ذلك لما كان كلامه بالهام الروح القدس .

مما سبق يفهم لماذا حذف متى البشير ذكر هؤلاء الاربعة .

أما قول حضرة الناقل بأن هيرودیا لم تكن زوجة فيلبس بل بوطيوس فغير حقيقى — قال يوسيفوس المؤرخ الشهير أنه لما كان هيرودس انتيباس مسافراً الى رومة عرج على بيت أخيه هيرودس فيلبس (أو فيلبس فقط كما اختصره البشير منعا للالتباس اذ ان اسمه الحقيقى هو فيلبس أما هيرودس فاسم العائلة) وعشق امرأته واتفق معها على أن يطلق هو زوجته ابنة (أرنياس) واتفقت هى على أن تطلق زوجها وتم لهما ذلك . (أما أولاد هيرودس الكبير فهم . هيرودس اغريباس . وهيرودس انتيباس . وهيرودس فيلبس . يلاحظ ذكر اسم الوالد فى الأول — ولم يذكر بوطيوس هذا بانه أخوهم —)

أما من حيث قوله إن (عيسى) كان ابنا ليوسف فقد ذكرت ابوة يوسف المسيح في الانجيل لما يأتى : —

إنه لما كانت العذراء في عصمة رجل هو خطيبها يوسف ووجدت حبلى من الروح القدس فقد كان على يوسف (بعد ان ظهر له الملاك واعلم بطهارتها) ان يعلن بانه زوجها وان لم يكن قد فعل ذلك فقد كان جزاؤها الرجم حسب شريعة موسى .

تأمل اعتراض السيد المسيح عندما كان يبشر في الهيكل وهو لا يزال طفلا على علاقته بيوسف كأبن فى الآية الآتية :

(لوقا ٢ ـ ٤٥ الى ٤٩) « فلما أبصراه اندهشا وقالت له أمه يابنى لماذا فعلت بنا هكذا . هوذا أبوك وانا كنا نطلبك معذبين . فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني . الم تعلما انه ينبغى ان اكون في ما لأبى . »

الى هنا اكتفى بالرد على اهم ما جاء بالعصور الغراء . نقلا عن كتاب لودفيج وأختتم بذكر بعض البراهين المؤيدة لصحة الوحى فى الكتاب المقدس وهى مستندة على حقائق تاريخية ونتائج عقلية صادرة عن بحث حر عميق

نجد ان الآثار القديمة وعلى الاخص المصرية منها تؤيد تمام التأييد القصص المذكورة في التوراة . فقصة ابراهيم حين ذهابه الى مصر مع امرأته وانكاره بانها زوجته نجد مايشبهها فى قصة الاخوين المذكورة في صحيفة البردى المنسوبة الى دربينى فى المتحف البريطانى . كما نجد شبها لها في صحيفة البردى التى ترجمها المسيو كاباس . وكذلك قصة يوسف المذكور جزء منها أيضا فى صحيفة البردى السابقة (المنسوبة الى دربينى) ونجد ذكر البقرات السبع التى رآها فرعون فى الحلم في الفصل الثامن والاربعين من كتاب الموتى . وجاء فيه (تك ٤١ — ١٤) ان يوسف حلق و بدل ثيابه قبل دخوله على فرعون وهذا أمر أثبته التاريخ والآثار. فان المصريين ما كانوا يتركون شعرهم يطول الا فى اوقات المناحات. وكان المصريون يرسمون ارتياد الناس باللحى . وكان الكهنة يحلقون كل الجسد فى كل ثلاثة ايام . اما اليهود وغيرهم من الامم الاجنبية فكانوا يسرون بتطويل اللحى وفى دور الآثار كثير من المواسى المصرية .

ونجد قصة يوسف (اسمه بالهيرو غليفية صفنات فعنيح) ترددها آثار الفراعنة وتتفق مع التوراة فى كثير من تفاصيلها

والفقرة الآتية وبها ذكر سنين الشبع وسنين الجوع وجدت مكتوبة فى ضريح

قديم عند ايليثيا والكتابة كأكثر كتابات الضرائح المصرية مملوءة بمدح وتمجيد الذات

« الرئيس باباعلى مائدة الامراء قام ايضا يتكلم هكذا — انا احببت ابى . اكرمت امى . اخوتى واخواتى احبونى . خرجت من باب بيتى بقلب طيب . وقفت هناك بيد منعشة . كانت المعدات التى جمعت ليوم الوليمة جزيلة . قلبى كان لطيفا خالصا من الغضب ، والالهمة اسبغت على ثروة وافرة ، والمدينة رغبت لى الصحة وحياة مملوءة بالهناء . عاقبت فاعلى الشر . اولادى الذين وقفوا مقابلى في البلد مدة الايام التى اكملتها كانوا سنين بين كبير وصغير ، احضر لهم ثلاث فرشات وكراسى وموائد كعددهم . اتلفوا ١٢٠ آنية من الذرة . وصليب ثلاث بقرات . و ٥٢ عنزه ، وتسعة حمارات . ومن البلسم معينا ومن الزيت جرتين . ربما يظهر كلامى هزلا للبعض ولكنى استشهد الاله منش ان كلامى حق وقد هيأت كل هذا في بيتى واعطيت زبده فى بيت المؤونة وبيرة فى قبر المؤونة عددا اكثر من الكفاية من اكيال الهينى . وجمعت الحصاد اذ كنت خليلا لاله الحصاد — وكنت مراقبا فى وقت الزرع . والان لما قام الجوع واستمر سنينا كثيره اخرجت قمحاً لكل جائع . »

وقد قال برغش بك ان سنين الجوع الكثيرة تطابق السبع سنين الجوع فى ايام فرعون المعاصر ليوسف .

ونجد فى مخاطبة يوسف لاخوته فى التوراة (تك ٤٢ — ١٦) « وحياة فرعون انكم لجواسيس » كما اكتشف على الآثار ان هذا القسم لم يرخص لأحد استعماله الا لذوى الرتب العالية

وجاء فى التوراة انه لما فسر يوسف الحلم لفرعون كافأه فجعله سيدا على كل مصر وثانى الملك واجزل له العطايا الثمينة ووهب له خاتمه الذى كان في يده « علامة السلطة الملكية » ثم البسه ثياب البوصى (وكانت من ملبوسات الكهنة)

ووضع طوق ذهب فى عنقه واركبه فى مركبته الثانية كملك على البلاد ومنح طوق الذهب للحاكم الرقيع كان من عوائد ملوك مصر، فان أحمس رئيس الملاحين وصار ملكا بعد ذلك لما قطع رأس قتيل من الاعداء واتى بها الى الملك منحه الملك طوق ذهب واتى فى واقعة اخرى مثل هذا العمل ،فشكره الملك واعطاه طوقا آخر من الذهب . كذلك فعلم من التوراة ان يوسف غير ملابس اخوته ومنح لهم ولأبيه أرض جلسان ليستوطنوابها وهذا مطابق لعوائد المصريين التى يعرفها يوسف من ان الرعاة كانوا نجسين عندهم

ولو ذكرت شيئاً من الاناشيد والقصص و بعض فقرات كتاب الموتى وغيرها مما هو ثابت على الآثار واوراق البردى التى تؤيد التوراة فى نواحى كثيرة تشغل هذا عددا وافرا من صفحات هذه المجلة فيظهر مما سبق ان التوراة يؤيدها تاييدا عظيما ما كتبه القدماء على آثارهم . مع العلم بانهم كانوا يعتنقون دينا غير دين اليهوا بل كانوا اعداء لهم يسخرونهم فى تشييد معابدهم ويسومونهم الظلم، غير ان كتاباتهم لم تغفل سرد اخبارهم ووقائعهم . ذلك لانها كانت حقائق واقعية لاغرض لهم من تدوينها الا ذكرا للحقائق وتدوينا لاخبار وقعت كما دونوا اخبارهم هم وطرق معيشتهم وعاداتهم والحوادث التى حدثت فى ايامهم فاذا كان ماله علاقة بالمصريين فى التوراة صحيحا فما الذى يمنع ان يكون كذلك ما ليس له بهم علاقة

اذا عرفنا ذلك كان لا بد ان نحكم بصحة ما ذكر قبل المسيح بمئات وألوف من السنين تنبؤا خصوصا بعد ان تحققت هذه النبوءات بالحرف الواحد ،نذكر منها على سبيل الاستدلال هذه السطور (اشعياء ٧ . ١٤) ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه « عمانوئيل » . (واشعياء ٩ : ٦ — ٧) « لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ،ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس السلام » (مزامير ٢٢ : ١ — ١٧) نذكر منه فقرتين « الهى الهى لماذا تركتنى . . . . . .

ثقبوا يدى ورجلى . أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون

ومن الدلائل العقلية الكثيرة على ان الانجيل لم يكن من ابتكارات البشيريين وتلفيقاتهم .

١ — لما بعث يوحنا المعمدان رسوليه ليسألاه (المسيح) عما اذا كان هو المسيح المنتظر اجابهم قائلا « اذهبا » واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمى يبصرون والعرج يمشون . والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » وهذه العبارة من الاهمية بمكان لانه لا يعقل ان يبتدع البشيرون حادثة يشم منها ان رسول المسيح الخاص تزعزع ايمانه فيه (حسب ظاهر الآية) ثم انه ليس من السهل ان يفصل السؤال عن جوابه وهو فى الحقيقة اقرار أكيد عن المسيح يثبت اجراءه المعجزات .

٢ — توبيخ المسيح لكورزين والمدن الاخرى كصور وصيداً لانه صنع فيها اكثر قواته ولم تتب. ومما يؤيد صدق هذه العبارة (الواردة في متى ١١ : ٢١) ان الانجيل لم يأت على ذكر معجزة واحدة صنعت فى كورزين ولو كان البشيرون أو غيرهم هم الذين اخترعوا هذا القول لجؤوا الى ذكر بعض المعجزات تسويغا لدعواهم. اما وهى لم تكن بدعة من عندياتهم والمسيح نفسه هو الذى نطق بهذه الكلمات فلا يعقل ان يوبخ هذه المدن لعدم توبتها مالم يكن قد صنع فيها كثيرا من المعجزات

٣ — المعجزات المنسوبة الى المسيح لا تليق الا به . لانها كانت لفائدة الناس وليس لاذيتهم، ولو قارناها بالمعجزات الوهمية المنسوبة اليه في الاسفار الابوكريفية (غير القانونية) لوجدنا بينهما فرقا عظيما . لان الاخيرة صبيانية وسخيفة. فقد جاء بها مثلا « ان المسيح وهو طفل كان يأمر الطيور المصنوعة من الطين فتطير وكان يحوك الصبيان الذين يأبون اللعب معه الى جداء من المأعز — ولعن مرة ولداً كان يجرى وراءه فسقط ومات — الخ .

ومما يستحق الذكر ان المسيح لم يعمل معجزة واحدة لنفع نفسه وقد أبى ذلك عند ما طلب منه (متى ٤ : ٣ و ٢٧ : ٤٠) ولو كانت البشائر مجرد كتب وهمية لما كان الخيال هكذا .

٤ — اكثر المعجزات كانت للشفاء اى من قبيل اعادة الشيء الى حالته الطبيعية، ولم يكن الغرض منها عمل شيء مخالف للطبيعة كاعطاء الانسان عينا ثالثة وكلا الامرين يبرهنان على قوة خارقة ولكن اولهما اكثر ملاءمة لآلهة الطبيعة

٥ — اتفاق البشيرين فى القول بان المسيح صنع معجزاته من تلقاء نفسه وبالسلطة الآلهية المطلقة كقوله « ايها الشاب لك اقول قم » بخلاف انبياء العهد القديم الذين عملوا معجزاتهم بعد ان طلبوا من الله . ولو كان البشيرون هم الذين اخترعوا هذه المعجزات لاحكموا وجه الشبه بينها وبين معجزات العهد القديم

٦ — اقامته ابنة يايرز من الاموات ، (مرقس ٥ : ٣٩) نعم في وسع كل انسان يروم رفع قدر المسيح ان يخترع هذه المعجزة أو ما يشبهها ولكن هل يعقل ان يدون الكاتب هذه الكلمات « لم تمت الصبية لكنها نائمة » ثم ان المناقشات التى دارت حول عمل المعجزات يوم السبت لها لهجة صحيحة ولا يمكن أن نقول عنها انها مبتدعة . بل كيف كانت تدور هذه المناقشات مع حالة عدم وجود معجزات بالمرة .

ولو شاء القارىء لاثبت له بالكثير من الادلة التى تبين تماما ان البشيرين لم يخترعوا ولم يلفقوا (أو يوفقوا بين اقوالهم المتضاربة المضطربة كما يقول حضرة المؤلف الاديب) ولكنها خطرات الوحى جاشت بها نفوسهم وفاضت فجرت على قراطيسهم نورا وسلاما.

جورجى اسكندر

العصور — نشرنا هذه المقالة لئلا تتهم على الاقل بأننا نفر من المصاعب التى تعترض ابحاثنا في العصور . على اننا قبل أن ندلى برأينا نود أن نوجه نظر الكاتب الأديب الى أشياء خفيت عليه وكان من الواجب أن يلاحظها ليكون رده على الاقل متفقا والخطة التى اتبعها لردنيج والتى اضطررنا الى

اتباعها قسراً عنا نزولا على حكم المراجعة الادبية لكتاب قرأناه .

اولا — يجب ان نلاحظ أن مراجعة كتاب وتلخيص زبدة الرأى فيه يجب أن يكون فيها بعض الحرية حتى لا يتقيد الكاتب برأى واحد . بل للكاتب أن يزيد الى البراهين التى تؤيد فكرة الكاتب اذا كان موافقا له براهين يكون قد استنتجها أو وقع عليها في كتب أخرى ، وان يذكر كذلك البراهين التى قد تنقض رأى الكاتب اذا كان غير متفق وأياه فى الرأى . وهذا ما اتبعناه بالفعل في مراجعة كتاب لودفيج . فالقول بان أحد البشيريين مثلا قد اهمل ذكر أربعة ملوك ليصل نسب عيسى بداوود مسألة لم يعرض لها لود فيج بل عرض لها المؤلف الكبير « فورشوور »ـ Waurschauer ـ الألمانى فى كتاب « تاريخ المسيح » واظن ان رينان عرض لها أيضا بقدر ما استطيع ان اذكر من كتاب قرأته منذ سنين عديدة .

ثانيا — أن لودفيج قد ذكر أنه انما يتكلم في عيسى بن مريم لا في المسيح والفرق كبير بين الامرين كما هو ظاهر لكل من اطلع على تاريخ المسيح وعلى تاريخ النصرانية .

ثالثا — ان اكثر التعليلات التى ذهب اليها الكاتب انما هى التعليلات التى ذهب اليها زعماء النصرانية ، لا كبار المؤرخين ، فهو اذن يتكلم من وجهة النظر اللاهوتى لا من وجهة النظر التاريخى العلمي

رابعا — ان قراءة التواريخ القديمة التى كتبت فى عهد المسيح او قبله او بعده بقليل تمكننا ولا شك من معرفة المحيط الذي احاط المسيح في نشأته ومنه نستطيع ان نصور ذلك المحيط صورة ان لم تكن هي الحقيقة بذاتها فانها تكون قريبة من الحقيقة . على انك تستطيع أن تدرك حقيقة ذلك اذا قرأت كتاب الاستاذ « جابرت موري » الانجليزي المعروف باسم « الحياة الاجتماعية في اغريقية القديمة » . فانك تدرك اذا قرأت هذا الكتاب كيف كانت الحياة الاجتماعية فى تلك البلاد على بعد تاريخها عنا ، بل تقف على حياتهم اليومية ونظامات الاسرة والحياة العامة وقوفا ينقلك من عصرك الى ذلك العصر . فاذا كان هذا مستطاع في حياة الاغريق القديمة افلا يكون

اكثر سهولة فى زمان أقرب الينا من زمانهم بقدر ستة قرون من الزمان بل فى زمان كانت كفاءة القياس التاريخى قد اصبحت اكثر اكتمالا فى العقل البشرى وكانت العناية فيه بتدوين الآثار اكبر ؟

هذا من ناحية . اما ان يحاول الكاتب أن يثبت عقلا او نقلا أن المسيح هو ابن الله او الله نفسه قد تقمص جسدا بشريا فذلك مالا يمكن أن نوافقه عليه لان العلم ينفيه نفيا باتا صريحا . بل ان الفلسفة ، وهى فى مجال التأمل لا في مجال اليقين ، لا تقبله . اذن فالمسألة التي تكلم فيها الأديب مسألة دينية لاهوتية صرفة لا شأن لنا بها في بحث تاريخى قوامه الوقائع التاريخية وسناده الاستنتاج العقلى القائم على الاساليب العلمية الحديثة .